آفاق

« ملحق العدد 31 »

ملحق العدد 31 يوم الأربعاء 01 صفر 1443 هـ الموافق 8 سبتمبر/ أيلول 2021م

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

لِمَ فعلتَ ذلك..؟! بقلم الكاتبة: مانيا أبو نقطة

بينَ الأغلفةِ الرَّقيقةِ استكان، وكانَتْ المرآةُ أمامَهُ تعكسُ رحلةَ الدُّخان، غير آبهة باسترجاعِ صورته، اللَّوح الصَّقيل المغشوش متقلِّب المزاج، و الخدش الأهيف وحده يظهر نصف وجهه أمَّا النِّصف الآخر فبات يحلو له عدم الانصياع للأوامر الصَّارمة، وأمَّا الرواق الآخر الطَّويل فكانَتْ لهُ سمة القطار المعتم المختلط بعتمة ليلٍ طويل، كان يترقَّبُ السَّماء يعدُّ نجماتها واحدة واحدة، يلتفتُ إلى اليمين تارةً وإلى الشِّمال تارةً أخرى وكأنَّه يبحثُ عن شيءٍ ما، نعم، يبحثُ عن حلمه المنسيِّ، يبحثُ عن ذاته و حياته، سنوات ثلاثون مرَّت من عمره و هو ما يزال أعزب، أغمضَ عينيه قليلاً وبدأ يبحث عن مستقبله الَّذي كاد الحاضر أنْ ينسيه إيَّاه، أمُّه امرأة مسنَّة وهو وحيدها بين ثلاث أخوات بالإضافة إلى أنَّه البكر، اعتادَ على العمل في معملٍ صغيرٍ لصنع الحلوى فهو مصدر كسبه الوحيد كي يؤمِّنَ لقمة العيش لأمِّه ولأخواته فهو لم يُكمل دراسته على الرَّغم منْ أنَّه حاصلٌ على شهادةِ الثَّانويَّة العامَّة وذلك بسبب ظروفه، فقدْ أفنى حياته وشبابه من أجل غيره والآن أصبح دوره كي يعيش رغد الحياة.

فتح عينيه فجأةً وارتسمت على وجهه ابتسامةً واضحةً، فقد وجد مستقبله وما عليه سوى أن يذهب إليه، التفت إلى ساعة الحائط؛ إنَّها السَّاعةُ التَّاسعةُ الآن!

هبَّتْ رياحٌ هادئةٌ حملت معها أنساماً عليلةً وعبيراً ساحراً وحين وصلت الرَّائحة واشتمَّها بعمقِ مَنْ يُخرجُ رأسه بعد انقطاعٍ طويل للأنفاس أصابتْه الدَّهشةُ، لأنَّ الرَّائحة تلك لم تكن بحالٍ من الأحوال رائحة زهورٍ بقدر ما كانت مزيجاً من الرَّغبة والدِّفء، شعر بنُعاسٍ شديد وأحس بأنَّ جسمه قد شُلَّ بالكامل يريدُ منه النَّوم، نامَ بعمق وكان يصحب نومه أحلام سعيدة مليئة بالفرح و السُّرور وأخذ يُبحرُ في عالمِ الأحلامِ ساعات وساعات، وفجأة..

يرنُّ جرس المنبِّه، إنَّها السَّاعة السَّادسة صباحًا!

كان يرنُّ الجرس بصوتٍ عالٍ وكأنَّ مطرقةً تطرق رأسه أيقظته من أحلامه الَّتي كان يتمنَّى ألَّا يتركها أبداً، نهض على عجلةٍ، هيَّأ نفسه ثمَّ تناولَ فطوره واحتسى قليلاً من الشَّاي السَّاخن ثمَّ ذهبَ إلى معمله الصَّغير المتواضع الَّذي وضع به كلَّ جهده وتعبه، كان يعمل بنشاطٍ بالغ فقد عزم على البحث عن شريكة حياته وهو متحمِّس جداً، أنهى عمله وعاد إلى البيت ورمى بنفسه على سريره الخشبيِّ ونظرَ إلى جانبه ثمَّ قال: " قريبًا.... لن تبقى باردا أيُّها الفراش، سيمتلئ هذا المكان بروحٍ دافئةٍ وبحضنٍ آمن. ".....

وفجأة، يدقُّ الباب، إنَّه صديقه وصاحب طفولته حتَّى شبابه، جلس أمام صديقه بصمتٍ كامل

لِمَ فعلتَ ذلك..؟! بقلم الكاتبة: مانيا أبو نقطة

ثمَّ بدأ يفكِّرُ بأنْ يطلب من صديقه المساعدة في إيجادِ عروسٍ تليق به.

سأله صديقه:

_ما بك يا عزيزي منذ أن أتيت وأنت صامت، هل من شيءٍ يشغل بالك؟

_إيه...... و هل هناك شيء يشغل البال أكثر من هموم الدُّنيا!!

_بالله عليك لا تتحدَّث عن الهموم فعندما أسمع هذه الكلمة يؤلمني بطني كثيراً.

أطلق ضحكة قوية ثمَّ قال:

_إذاً ما رأيك أن نتحدَّث عن الأشياء الَّتي يرتاح بطنك لسماعها؟

_يا أخي كلُّ ما هنالك أنَّ المال، الشُّهرة، السُّلطة، الرَّفاهية.. هي أكثر الأشياء جمالاً في الحياة.

_وماذا عن الزَّوجة؟ أليست من الأشياء الجميلة في الحياة؟!

_تفكِّر بالزَّواج إذاً، لا أصدِّق أنَّك تريد الزَّواج!!

_أرجوك يا رجل كفَّ عن المزاح وقل لي:

هل تعرف فتاة بصفات حسنة وأخلاق طيبة للزواج بها؟

_ومن يعرف غيري بهذه الأمور، لا تقلق اترك الأمر علي وحسب، أمَّا الآن أشعر بجوعٍ شديدٍ يمزِّق أشلائي.

_لله أنت كم تحبُّ بطنك! سأجلب لك الطَّعام حالاً.

نهض برشاقةٍ وخفةِ غزالٍ ويبدو عليه الحماس واضحًا، وبعدَ مرور وقتٍ طويل من السَّهر والضَّحك عاد إلى فراشه، استلقى عليه وقد كادت عيناه تُغمضُ من شدَّة النَّعاس، لكنَّه لا يودُّ النَّوم أبداً، يريد أن يفكِّر في حياته الجديدة وحسب.

مرَّت الأيَّام، والأيَّام أصبحت أسابيع، والأسابيع أصبحت أشهر، وهو ما يزال ينتظرُ





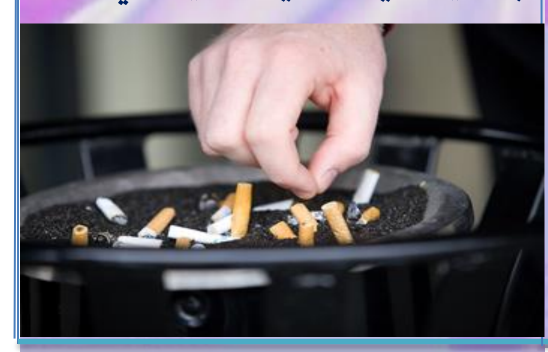
وعد صديقه له، وما يزال يفكِّر في حلمه الصَّغير المتواضع.

وأخيراً جاء اليوم الَّذي لطالما حَلُمَ به كثيراً، ذهبَ إلى منزلِ فتاةٍ لم تتخطَّ العشرين من العمر، تقطن في القرية نفسها مع عائلتها وهي من أقاربِ صديقه، دخلت الفتاةُ وقدَّمت أكواب القهوة للموجودين ثمَّ جلست بجوارِ أمِّها، فتاة جميلة لا يعيبها شيء ولا يمكن لعينٍ بصيرةٍ أن تُدرك لوثة عقلها من النَّظرة الأولى، فجنونها هو من النَّوع النَّادر الَّذي يلتقيك دون أن يتركَ بصماته في ذهنك مباشرة، وعندما رآها أعجبته كثيراً، لقد رأى فيها حياته الجميلة ومستقبله المزهر وأمُّ أولاده أيضًا، فبدأ يحدِّثها عن نفسه

وهي كانت تجيبه بكلمتين مقتضبتين: (نعم... أعرف) وأحيانًا (حسنًا... لا بأس).

وعندما انتهى من حديثه قال يحدِّث نفسه: "آمل أن تكونَ خيراً..." وحين أنهى عبارته تلك كانت يده المرتبكة تُطفئ آخر سيجارة لديه داخل المنفضة، وأحس أنَّ وجوده قد انتهى مع آخر نفثة دخان زفرها، فانتظر لحظات كي تمضي بحال سبيلها نقيَّة مُصانة، ثمَّ همس لصديقه: "والآن.. أعتقدُ أنَّه بإمكاننا الذَّهاب".

رحلا و كانت فرحته لا تُوصف، وبعد أيَّامٍ قليلة ردُّوا عليه أهل العروس بالموافقة لتكتمل فرحته أكثر وأكثر، فبدأ يجهِّز ليوم زفافه، وأخيراً و بعد انتظارٍ طويل جاء اليومُ الموعودُ، وقد كان في حالة توتُّر وحماس في الوقت ذاته، فقد حَلُمَ بهذا اليوم كثيراً وها هو يتحقَّقُ شيئاً فشيء.



لِمَ فعلَتْ ذلك..؟! بقلم الكاتبة: مانيا أبو نقطة

وبالفعل تمَّ حفلُ الزِّفاف على أكمل وجه، وكان حفلاً كبيراً وضخمًا ولكنْ هذا كلّه لم يكنْ يعني شيئًا أمام اللحظة الَّتي تداخل بها الرَّمادُ الأنثويُّ مع الرَّمادِ الذُّكوريِّ في الغرفةِ الكائنةِ على حدود العالمَين المنفصلين فاختلطا، كانا حقيقةً يهدفان إلى ذلك، وكان المزيج هذا يحفل بالمتناقضات، صمتهما يتكلَّم فحسب، ولكنْ بلغةٍ أخرى شاسعة، وأيقن هو أنَّ بهذا التَّداخل صارا يمنحان الصَّمت سمة المراوغة، لكنَّ الخجل كان يبدو واضحًا على وجنتي العروس وهو يغازلها بأطيب الكلمات.

وأصبح الزَّمن يمرُّ بأيَّامه وشهوره وسنينه، وهو ما يزالُ يرى في زوجته المرأة المثالية ويراها الأجملَ والأكملَ على الإطلاقِ وكان يعاملها أحسن المعاملة ولمْ يُسئ إليها في حياته قط، بلْ إنَّه كان يحترمها ويقدِّرها ويحترم أهلها ويستجيب لكلِّ طلباتهم كلّ ذلك لأنَّه كان يحبُّها، لقد أعطاها الحريَّة المُطلقة في كلِّ شيء ولمْ يرفضْ لها طلبًا أبداً وبهذا كانت علاقتهم مثاليَّةً إلى حدٍ ما، كانت علاقةً مبنيَّةً على الحبِّ والودِّ والاحترامِ والتَّفاهم، لقد عاشا مع بعضهما سنين طويلة، وأنجبا الصِّبيان والبنات.

وفي يومٍ من الأيَّام، وبعد كلِّ العيشة الهنيئة والهادئة، هبَّتْ عاصفة الخيانة، ولمْ تستطعْ الأذرعُ والعيونُ والقلوبُ اتِّقاءها، وقد أخذت في وجهها كلَّ شيءٍ ولم يبقَ أيُّ شيء، ثمَّ هدأت مخلِّفةً الرَّماد المتطاير ذرَّات في العيون، وحدث الانفصال الرُّوحي وبدأت الحياة وكأنَّها مثل ثوبٍ جميل انقلب على ظهره، وعند ذلك أفرزت العلاقة أنكر الأصوات وأفظع الروائح وأقبح الألوان والصِّفات والنُّعوت، ولم يبقَ للسكينة مكانٌ كي تستقرَّ فيه، فبعد زواج دام ثلاثة عشر عامًا وبعد حياةٍ كانت ملؤها السَّكينة والأمان، اكتشف أنَّ زوجته الَّتي كان يظنُّها وينعتها دائمًا بالوفيَّة تخونه مع شخص آخر يعمل في المتجر المقابل لبيته، إنَّهُ شابٌّ صغير السن ما يزالُ أعزب وهو أصغر منها بكثيرٍ، فعندما عرف بذلك الأمر لمْ يستوعبْ ما حدث فهذا الأمر لا يكاد يُصدَّق، لديهما خمس أطفال، راجع نفسه قليلاً فهو لا يذكرُ أنَّه قصَّر بحقِّ زوجته يومًا ما، وهو لا يذكرُ أنَّه قلَّل منْ شأنها أو ضربها ووبَّخها في حياته قط، بل العكس تماماً، كان الجميع يحسدها على احترام زوجها لها ومعاملته الحسنة، فلِمَ فعلَتْ ذلك؟!

ولهذا كلّه، وبعدالة مُطلقة، أصدر أمراً بالقبض على نفسه و إيداعها في العزلةِ، واستمرَّ في عزلته زمنًا، وطالَ مُكوثه في عتمته الخاصَّة يغترفُ مِنَ الأسرار والأفكار، وكان قد تجاوزَ المعقول وصارَ يَشيْدُ من الأشياء الثَّابتة عالمًا يُبادله الحوار بعيدا عن كلِّ المؤثِّراتِ الخارجيَّة الَّتي كان يمنع في رفضها، فهو فقد ثقته بمعظم البشر وسئم صحبتهم، وقرَّر أن يكملَ حياته من أجل حياة وسعادة أبنائه، فزوجته الخائنة لمْ تفكِّرْ بهم لذلك لمْ يبقَ لهم في الحياةِ سواه.

ولكنْ بقيَ سؤالٌ يجولُ في خاطره كان يتساءلُ عنه كلّما نظرَ إلى أطفاله الأبرياءَ ولمْ يكنْ باستطاعته إيجاد جواب له:

"لِمَ فعلَتْ ذلك؟!؟ .. ولِمَ رمت بنفسها وبعائلتها وبنعيمها إلى مصبِّ الهلاكِ؟ وكيف لمْ تفكِّرْ بحياةِ أبنائها وبربِّها الَّذي ينتظرها كَيْ يجزيها عقابها المستحق؟!؟ !"

لِمَ فعلَتْ ذلك؟!؟ ... لِمَ ... لِمَ ... لِمَ ...؟!؟!



أنا والجميع، للكاتبة: أريج شوكت جبور

في أحد صباحات أيام نيسان الجميلة عام 2000، الساعة التاسعة صباحاً، حيث انبعثت أشعة الشمس الدافئة من النافذة، ونشرت خيوطها الذهبية على المائدة والكنبات والأبواب والستائر الحريرية، كنا أنا وأمي جالسين نتناول الإفطار، كما تعودنا قبل خروجي لعملي ...

إيه يا أم وسيم: لازلت تعدينني طفلاً صغيراً، لا يخرج قبل تناول إفطاره..

لتضحك ضحكتها الملائكية الأحبّ إلى قلبي مردفة: كيف وأنت ابني الوحيد، فالولد مهما كبر يا بنيّ يبقى بعين أمه صغيراً، فليحفظك الله ويرعاك...

خرجت يومها مسرعاً لعملي، كنت أفضل عبور الشارع والطريق للعمل الذي أعمل به مشياً على الأقدام، أنظر للشجر على جنبات الطريق، بأغصانها المتدلية ثقيلة منهكة تبدو من مرور الزمن عليها، وأتلمس الدفء بجوفي من خيوط الشمس المنتشرة بالأرجاء، بينما تسير السيارات نافثة دخانها ملوثة للهواء العليل، من غيرها يعكر صفو مزاجي كلّ صباح (أحدث نفسي).

كنت أعمل بمحل لتصليح الأدوات الكهربائية، يبعد سيراً على الأقدام مسافة نصف ساعة، هذه المهنة الوحيدة التي استطعت مزاولتها بعد سنتين من تخرجي من كلية الهندسة الكهربائية.. فحظوظي بالعمل كانت أقل الحظوظ وأكثرها تعثراً في الحياة...

وعندما تكون من عائلة متوسطة الدخل، لا تملك مالاً ولا حسباً ولا نسباً لكي يوظفك تغدو في نهاية المطاف بمكان لا يشبهك ولا يشبه طموحك، لكن لا بأس به..

كلما دخلت للمحل وجدت السيد عبد الرحمن؛ فهو صاحب المحلّ، رجل وقور، طويل القامة عريض المنكبين، شعره الأسود الذي تكسوه بعض الخيوط البيضاء، مشذب الدقن على الدوام، ابتسامته لا تفارقه طالما هو موجود فالسعادة موجودة، يكاد يبثّ طاقة الحياة لكل من رآه، صفاته ما خففت عليّ وطأة العمل وساعاته السبع المتواصلة..



صباح الخير يا وسيم: يبادر عبد الرحمن السلام دائماً...

أسعد الله صباحك يا عم عبدي الرحمن، هل لدينا اليوم عمل كثير؟

يردّ عليه ضاحكاً بسخرية وهو يرتشف قهوته الصباحية.. إيه ما فائدة الحياة دون عمل، فأن لم يكن لديك عمل اصنعه، اخلقه لكن لا تدع نفسك حبيس الوحدة والعزلة يا بنيّ أفهمت؟

كانت أقواله كلها مبطنة بنوع من الحكم المخفية التي لم أفهمها إلا بعد فوات الأوان..

نعم هات ما عندك لنبدأ رحلتنا الصباحية بالتصليح وفكّ براغي هذه الآلة وإزالة تلك.. وهكذا...

كان عبد الرحمن رجل لا يكفّ عن طرح الأسئلة طيلة اليوم..

كيف حال والدك ووالدتك؟ ومتى ستتزوج فأنت بعمر الخامس والعشرين؟ أسئلة وأسئلة أهرب منها.. لكني كنت دائماً من يقع في فخّ، يستخرج الكلام عنوة من فاهي... ونفس الإجابات كلّ يوم، حتى أنني أعترف أن فضوله وكثرة أحاديثه كانا متعبان لي أكثر من العمل بحدّ ذاته..

ما أن أحجب ناظريّ مركزاً في إصلاح محرك للبرادات، ومسح الغبار عنه، والغرق في تفاصيله الدقيقة وقطعه المنظمة بترتيب متناهي، وأقطع سلكاً أحمراً من هنا لأوصل آخر أصفر من هناك، (كيف يمكن لجهاز بحجم المربع المسطح أن يدير براداً بقدمين على الأقل) أحادث نفسي، وأنا في صمت السكون والتساؤلات، يأتيني صوت عبد الرحمن.. ألم تنتهي بعد، تعال واشرب الشاي معي، ما أحوال والدك يا وسيم؟

أجيبه: خرج برحلة قصيرة في سيارته ليبيع كلّ ما لديه من الخضار في أسواق المدينة.. صحته كما عهدتها دائماً فهو قوي صلب، ما أن يخرج حتى يعود مساء حاملاً ما تبقى من خضاره لنطهيها على العشاء.

أنا والجميع، للكاتبة: أريج شوكت جبور

متنمر على الواقع كالمعتاد، لاعن للحياة وللعمل الذي أجبره على البقاء طيلة النهار خلف مقود سيارة البيك أب..

ليجيبني: كم مضى على لقائك إياه يا وسيم؟!

أنظر إليه مندهشاً: في هذا الصباح استيقظت وكان قد خرج باكراً لم أره، في المساء ألتقي به وأوصل له سلامك يا عم عبد الرحمن...

إيه يا بني: بلغ سلامي، وأتمنى لك أن تصحو يوماً وتستعيد رشدك، وتعرف أن الغائب في الجسد حاضر في الروح، لكن عندك يحدث العكس؛ فالغائبون حاضرون في عقلك وفي جسدك يا بني..!

حكمة أخرى لم أفهمها ولم أعرها أي اهتمام فهو كثير الكلام المبطن وأنا غرقي بعملي ينسيني كل شيء سواه....

أجيبه مبتسماً: إنه العمل وحده من يغيب عقلي يا عم عبد الرحمن...

الساعة السادسة مساء عدت للمنزل، كانت أمي نائمة قبل وصولي، إنها أعمال المنزل المتعبة طيلة النهار، فتحت البراد وتناولت رغيف خبز، ولففته متوجهاً لغرفتي، وقبل استلقائي على السرير، رنّ هاتفي...

إنها خولة، تلك الفتاة التي ارتبطت بها منذ السنة الأولى لي بالجامعة، كانت بعمري، شعرها الأشقر، وبشرتها التي تشبه لون الحنطة، وعيناها الواسعتان البنيتان، وشفتاها الورديتان، حضورها الطاغي في المكان، نبرة صوتها الهادئة، كل هذا أوقعني بحبها!

تذكرت أنني لم أهاتفها اليوم من ضغط العمل والآن ستنهال توبيخاً لي.. فتحت الخط وأجبتها: أهلاً يا خولتي، كيف حالك اليوم...؟

وقبل أن تسمع صوتي، انهالت صراخاً وبكاءً، اهمالك هذا ليس له حلّ سوى أن أبتعد.

قلت لها: متنهداً أرجوك دعيني أخبرك بمجريات يومي.. لقد كان يوماً.. قاطعتني.. لتتعالى صرخاتها: لا مزيد من الأعذار أنت بالنسبة لي بعيد منذ سنتين، أتتذكر لحظة التخرج، بماذا وعدتني؟ وها أنا انتظرك منذ سنتين وأنت لم تغير شيئاً، ما زلت كما أنت..

وأغلقت الخط قبل أن تسمع حرفاً واحداً..

دارت في مخيلتي ذكريات التخرج.. وأيام الدراسة، كم كنت سعيداً حراً، كلي أمل وطموحات، وأنا اليوم على عتبة الأحلام لا أجد مكاناً صغيراً أتقدم به إلى الأمام..

هاتفت صديقي أحمد: فردّ عليّ، أهلاً بك يا صديقي.. لماذا لم تحادثني منذ أيام؟



أجبته: إنه العمل وضغوطاته الكثيرة، إنّي مشتاق لك، يجب أن نلتقي قريباً لنسترجع أيام الجامعة يا صديقي وكم كنا سعداء وأحرار..

أجابني: حدد وقتاً، لأفرغ كل مهامي وألاقيك!

أحمد كان صديقي منذ أيام الطفولة، توطدت علاقتنا عندما كنا نلعب في الحيّ، كان يسكن قريباً مني، بيته على بعد بيتين فقط من بيتي، يعيش مع والدته، صبي ثري من أسرة معروفة، والدته الست أسمهان كما كان يطلق عليها أهل الحي.. أنثى متكبرة، تمشي كالطاووس اختيالاً، بجمالها، وأناقتها، ووراء ابتسامتها كلّ المكر، وفي عينيها أشدّ الاحتقار لمن هو أدنى منهم مستوى، كانت تصرخ على أحمد كلّما رآته يلعب معي، لكنني كنت صديقه الوحيد وهو بحاجة لهذا الصديق من وقت لآخر، كان صغيراً، وفي الصغر مهما حاولنا زرع الكره والحقد تبقى براءة الطفولة طاغية، قلب نابض بالحياة، صفحة بيضاء لا يمكن أن يعكرها سواد القلوب وعقول الكبار.. لكن ما نزرعه في الصغر يصبح قيماً عند الكبر، وتغلب البيئة والمنشأ، هذا ما

أنا والجميع، للكاتبة: أريج شوكت جبور



كنت أشعر به اتجاه أحمد، رغم كل ذكرياتنا، كان يتباهى على حسابي يحبّ كل ما أملك، يظنّ أنه يستطيع شراء كل شيء حتى البشر، وليس ذنبه بالطبع إنها أفكار والدته الست أسمهان..

عندما كبرنا وأصبحنا بالجامعة كان يحرص على التفوق علي دائماً، حتى خولة التي أحببت كان يحسدني على حبها ويتمناها لنفسه.

رغم كل من حوله من الفتيات المقربات، لا يقوى عقله على تصديق أن شخصاً فقيراً مثلي يُحبّ أو حتى يمكن أن يُحبّ أكثر منه..

لكن طالما كنت أغلف كل ما أشعر به بالمزاح وهو يخبئه في أعماقه مترصداً لحظة المباغتة لي..

عند التخرج نجحت بمعدل أعلى منه، كاد الحنق والغضب يفجره ويخنقه.. لكن هنأني بمصافحة باردة، هنا لم يتمكن من إخفاء غيظه وطبائعه.. لكن لابأس، كنت أقول لنفسي ليس ذنبه بل ما نشأ وتربى عليه هو السبب..

أتته بعثة لإكمال الدراسة بالخارج.. فنكرني وسافر وحده.. كانت حجته أنه لا يملك مالاً له ولي وعندما يتمكن من أخذي إلى كندا لن يتوانى ولو للحظة..

ودعته باكياً، متمنياً له كل النجاح، نظراته كانت كمن أحرز هدفاً في مرماي.. لكن الذكريات وحدها من بقيت تواسيني، واتصالاته التي لا تتوقف للاطمئنان عليّ ووعوده بأنه سيجد لي عملاً مناسباً لشهادتي.. هو ما صبرني..!

واليوم بعد سنتين هو في إجازة لمدة أسبوع في الشام وعليّ مقابلته ورمي همومي عليه كما اعتدنا على الدوام.

كان أملي قبل كل شيء أن يقرضني مالاً لأتمكن من خطبة خولة قبل أي شيء.. فهو الوحيد الذي يعرف حجم حبنا والسنين التي مضت ونحن سوياً

الساعة السادسة صباحاً رنّ المنبه كالعادة.. لأول مرة لم أتمكن من النهوض من الفراش، أسكته مرتين وثلاثة وعاد يرنّ مجدداً، هكذا مدة نصف ساعة، نهضت وأمسكت هاتفي لأكلم خولة..

فاجأني المجيب الآليّ (عذراً الرقم المطلوب مغلق أو خارج نطاق الخدمة حالياً).

حادثت نفسي ربما هي ما زالت غاضبة وتحتاج فترة راحة لتعود وتهاتفني.. ارتديت ملابسي كان والدي غير موجود كالعادة..

صباح الخير يا بنيّ قالت أمي.. لن أتناول الإفطار اليوم فقد تأخرت أراك مساء أمي..

خرجت مسرعاً كانت الأشجار على غير عادتها، والجوّ خانق من شدة التلوث.. والسماء مكفهرة وكأنها أعلنت الحداد.. وما أن وصلت للمحلّ رحب بي عبد الرحمن يسأل عن سبب تأخري.

أنا والجميع، للكاتبة: أريج شوكت جبور

فأجبته: أنني لم أنم جيداً.؟

فوضع قبالتي الأدوات المحتاجة لإصلاح وتسليم سريع.. كانت متعتي متلاشية وأنا أصلحها على غير عادتي.. أصلح وأنفث دخان سيجارتي والأسلاك تتشابك بين أصابعي.. وكأنها ملت الحياة ولا تريد أن تنبض مجدداً.. تركت كل ما بيدي وهاتفت أحمد.. عذراً الرقم المطلوب مغلق أو خارج نطاق الخدمة حالياً.. تمتمت في نفسي ما بال الناس اليوم.. ربما هو الجو الكئيب في الخارج جعلهم يغلقون هواتفهم.. سمعني عبد الرحمن فناداني لأجلس وأرتشف معه القهوة.. ما بالك يا بنيّ، تبدو بحالة مزرية...؟



أجبته: أنظر من حولك يا عم عبد الرحمن ألا تحس أن اليوم على غير عادته؟ كل من حولك حزين حتى الأدوات ترفض الإصلاح.. والأشجار بالخارج مدلية بأغصانها حزناً، والشمس مختفية خلف الغيوم وكأنها لا تود رؤية أحد.. حتى صديقي أحمد وخولة لا يجيبان.. قاطعني..

وسيم: هل أحمد هنا هل عاد من سفره؟ وخولة هل هي هنا هل عادت..

لأول مرة أجبته صارخاً: ماذا تقصد خولة هل عادت؟ فهي هنا دائماً اتصلت بالأمس وكانت حزينة باكية لعدم قدرتي على التقدم لخطبتها.. بعد سنتين من التخرج، هي محقة لا أصلح لشيء سوى إصلاح الخرداوات!

تنهد تنهيدة عميقة.. كدت أسمع لهاثه بأذني.: لا أقصد شيئاً يا وسيم مجرد أسئلة يا بنيّ... حاولَ تهدئتي وأجلسني..

ما تاريخ اليوم يا وسيم؟

قلت له: البارحة كان السابع من نيسان واليوم هو الثامن نيسان.. ما بالك تسأل أسئلة

غريبة مللت كلامك المبطن عم عبد الرحمن اعذرني أريد ترك العمل!

أمسك بيدي، كانت يداه تعصران معصمي انظر لي.. ليعود ويسأل: بأيّ عام نحن؟

لأجيبه: عام ١٩٩٨ يا عم عبد الرحمن..

إيه يا بنيّ كم من الصعب أن تضع نفسك وجهاً لوجه أمام الحقيقة..

بدأ العرق يتصبب من جبيني ويداي ترتجف.

عاد وسألني: هل تذكر سبب تأخرك يا بنيّ؟

أذكر رنين المنبه وإطفائي له وعودته للرنين مجدداً.. قاطعني وهل تذكر شيئاً آخر..؟

حاولت عصف ذهني والتذكر.. كنت كصخرة بلا تاريخ ولا قلب ولا عقل ولا ذاكرة.. لا لا أذكر شيئاً سوى أنني نمت ويمكن أنني غططت في النوم ولم توقظني أمي..

صرخ بوجهي: أمك أين أمك يا وسيم...؟

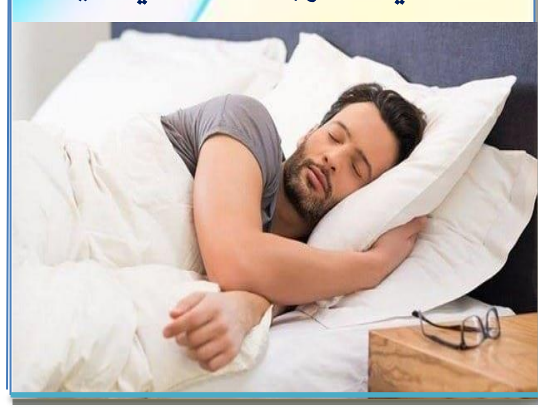
أجبته متفاجئاً: تركتها في المنزل هذا الصباح دون تناول الإفطار...

وسيم البارحة عندما خرجت قلت لي أنك ذاهب للطبيب خالد هل ذهبت؟

ضحكت بصوت مرتفع: من هذا أيضاً يا عم عبد الرحمن...؟

الساعة السابعة مساء من تاريخ الثامن من نيسان عام ٢٠٠٠

أتذكر نفسي جيداً مع بعض الشحوب في الرؤية..



أنا والجميع، للكاتبة: أريج شوكت جبور



كنت أجلس على كرسي عريض، مستلق نصف استلقاء...

سألني: الآن هل تذكرت كل ما حصل معك يا وسيم...

نظرت بعيني الدكتور خالد: كانت عيناه تلمعان من خلف نظارته وبيديه ناقوس يتحرك يميناً وشمالاً.. نعم هذا ما حدث معي في الأيام المنصرمة..

ليعود ويسأل: وهل تتذكر منذ سنتين ماذا حدث معك..؟ أردفت القول: بعد التخرج بثلاثة أيام، أذكر خولة مغادرة صارخة موبخة لي رافضة الحديث معي...

وهل تحدثتم لاحقاً بعد هذا: نعم كنا نتحدث طيلة السنتين، فقد انقطعت



أخبارها.. البارحة هاتفها خارج نطاق الخدمة.. ليكرر وأحمد هل أجابك بالأمس؟

نعم أجابني وطلب أن أحدد موعداً لمقابلته..

ليكرر بحزم أكبر: وأمك متى آخر مرة رأيتها؟

اليوم صباحاً قبل مغادرتي للعمل، كانت تعد الإفطار ولكني خرجت مسرعاً!

ووالدك يا وسيم؟

إني لا أراه إلا مستلقياً على سريره مساء عندما أعود من العمل متعب من يومه الشاقّ..

ما تاريخ اليوم يا وسيم...؟

الرابع والعشرين من شهر حزيران عام 1998 يا دكتور خالد..!

أجابني بصوت هادئ اخترق تجاويف عقلي

اليوم هو الثامن من نيسان عام 2000 يا وسيم..

أغمض عينيك وأنصت لصوتي وحاول التذكر..

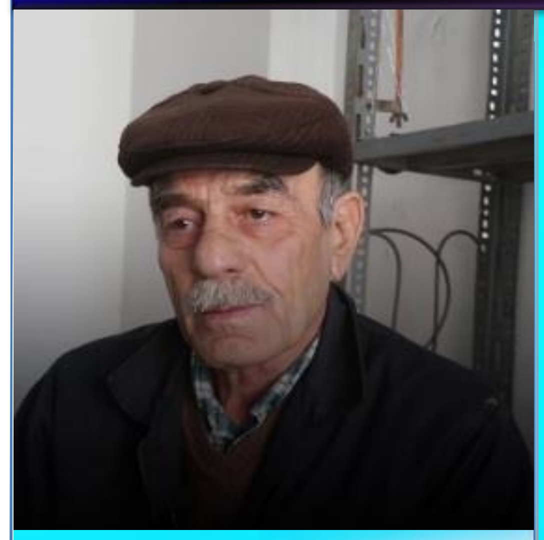
أغمضت عيني وبدأت الأحلام تنهال عليّ واحداً تلو الآخر.. وصوت الدكتور خالد يرنّ بعقلي..

وأنا أتبع صوته ..!

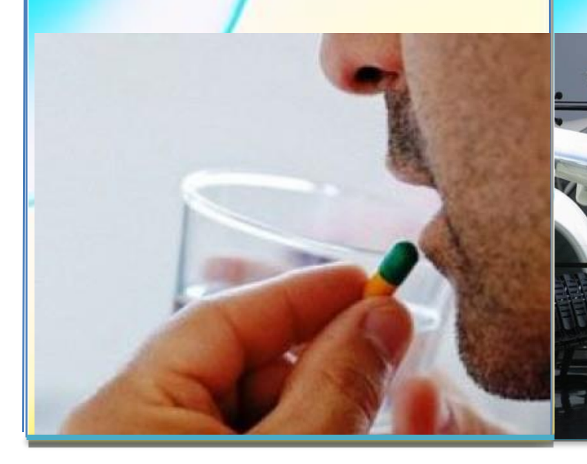
في الرابع والعشرين من عام 1998 توفيت والدتك بمرض القلب، هل تذكر كيف بكيتها لمدة أشهر دون الخروج من غرفتك..؟

والدك فُقد بعد وفاتها بشهرين ولم يعرف أحد عنه شيئاً وهو يبيع على سيارته البيك آب..

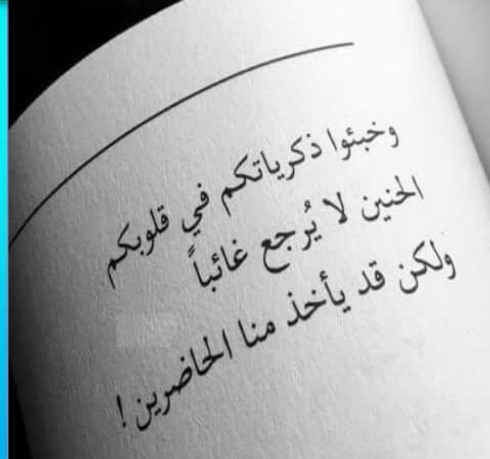
خولة وأحمد تزوجا بعد التخرج وسافرا ببعثة إلى كندة !



العم عبد الرحمن.. هو صديقك الخيالي في العمل، فأنت تتردد علي منذ سنتين وتعود لمنزلك.. وتتناول الأدوية وتنام لتعود وتأتيني محملاً بالذكريات وبأحاديثك عنهم..



أنا والجميع، للكاتبة: أريج شوكت جبور



لحظتها عدت بلحظات لذكرياتي والصور المخزنة في ثنايا ذاكرتي المنسية..!

نعم كانت ترقد والدتي على سريرها في الصباح جثة هامدة بكيتها كثيراً وقتها، من سيعد لي الفطور كل صباح؟ من سيخاف علي ويقلق إن تأخرت؟

والدي الذي تغيب لثلاث أيام وعند مهاتفته يجيب الرد الألي الخط مغلق أو خارج نطاق الخدمة، لم يتمكن أحد من الوصول إليه أو معرفة أي شيء عنه..

خولة التي غادرت باكية لأنها وجدت مستقبلها مع أحمد أكثر مني.. وسافرا تاركين وسيم الذي هو أنا !

متخبطاً بالغدر والخيانة..

أما العم عبد الرحمن كان أكثر الصور حضوراً وصدقاً في مخيلتي.. ابتسامته.. كلامه أدواته.. أسئلته التي لم أفهمها ولم أعرها أي اهتمام.. لا يمكن أن يكون أيضاً شبحاً.

بصوت مرتفع: استيقظ يا وسيم.. ناداني الطبيب خالد..

فتحت عينيّ.. وأصغيت وأنا منذهل من الكابوس الذي حلمت به.. ماذا رأيت يا وسيم.؟

أجبته: رأيت خولة وأحمد متزوجان



ومسافران..

وأمي متوفاة على السرير، وأبي لا يجيب.. والعم عبد الرحمن.. كان يبتسم لي، ويطرح نفس أسئلته المبطنة التي أمقتها!

ما تاريخ اليوم يا وسيم؟

اليوم الثامن من نيسان عام 2000...

انظر يا بنيّ.. أحلامك هي حقيقة حياتك.. هي هواجسك ومخاوفك..

أنت تعيش معهم منذ سنتين وكأنّهم لم يرحلوا.. وحده عبد الرحمن من واساك.. وحاول أن يصحي عقلك على حياتك وحقيقتك..

أنا من كنت أطرح الأسئلة.. لا العم عبد الرحمن..!

استمر بدوائك وسوف نضاعف العيار وستأتيني كل يوم وليس ثلاث مرات بالأسبوع..

غادرت العيادة..

وتوجهت لمحل عبد الرحمن.. دخلت عليه.. وبدأت بإصلاح الأدوات.. ودعاني لشرب القهوة معه.. وما أن جلست سألني:

كيف حال والدك يا وسيم؟

فانفجرنا ضحكاً حتى كادت الحوائط والجدران ترتجف من كثرة قهقهتنا في ذلك اليوم..!



